



إيبارشية جنوبي أمريكا للأقباط الأرثوذكس

سبتمبر ٢٠٢٠ م

الرسالة الشهرية للرهبان والراهبات

إيه أيها التواضع المبارك! إنك معلم كل الفضائل لأننا لا يمكن أن نغفر، ونحب بعضنا البعض، ونطيع ما لم نكتسب التواضع.

سئل القديس إسحاق السرياني ذات مرة: "كيف يمكن للرجل أن يكتسب التواضع؟" وقال: "من خلال تذكر دائم لخطايا المرء الشخصية؛ وتوقع الاقتراب من الموت؛ وارتداء الملابس الرخيصة؛ ومن خلال تفضيل دائم للمتكأ الأخير، ومن خلال السعي الدائم للقيام بالمهام التي هي الأكثر تافهة وازدراء، ومن خلال عدم العصيان؛ ومن الصمت المستمر، ومن خلال كره التجمعات؛ ومن خلال الرغبة في أن يكون المرء غير معروف وبلاكرامة؛ ومن خلال عدم امتلاك أي شيء على الإطلاق بواسطة الإرادة الشخصية، ومن خلال تجنب المحادثة مع العديد من الأشخاص؛ من خلال عدم محبة الكسب المادي؛ وبعد هذه الأشياء، من خلال رفع العقل فوق إدانة واتهام كل إنسان وفوق الحسد؛ ومن خلال ألا تكون يد المرء على كل أحد ولا يد كل واحد عليه (تك١٦:١٢). بل بالحري يبقى وحده مشغولاً بشؤونه الخاصة؛ ومن خلال عدم الاهتمام بأي شخص في العالم فيخلص نفسه. ولكن باختصار: العزلة، والفقر، والحياة الانفرادية تولد التواضع وتطهر القلب".

علامة أولئك الذين بلغوا الكمال هو هذا: إذا أنه، من أجل حبه للناس، أسلم للنار عشر مرات في اليوم، فإنه لن يكون راضيا عن هذا، حتى كما قال موسى لله، "والآن إن غفرت خطيتهم، وإلا فامحني من كتابك الذي كتبت" (خر٣٢:٣٢). ومثل بولس المبارك الذي قال: "فإني كنت أود لو أكون أنا نفسي محروماً من المسيح لأجل إخوتي أنسبائي حسب الجسد؛ وأيضاً: "الآن أفرح في آلامي لأجلكم". وبالمثل، قبل الرسل الآخرون أنواعاً كثيرة من الموت بسبب رغبتهم الحارة في أن يتلقى الناس الحياة.

ولكن خلاصة كل شيء هو أن الله أسلم ابنه للموت على الصليب من أجل محبته الملتهبة من نحو خليقة. "لأنه هكذا أحب الله العالم حتى بذل ابنه الوحيد". إلا أن ذلك لم يحدث لأنه لم يكن يستطيع فداءنا بطريقة

أخرى، ولكن لكي يصير حبه الفائق المتجلي على الصليب معلماً لنا. وموت ابنه الوحيد جعلنا قريبين من نفسه. نعم، إذا كان لديه أي شيء أكثر قيمة، لكان قد أعطاه لنا، بحيث من خلال ذلك يقتني جنسنا لنفسه. بسبب حبه الكبير لنا لم يكن من دواعي سروره أن يخترق حريتنا بعنف (على الرغم من أنه قادر على القيام بذلك)، لكنه اختار أن تقترب منه بمحبة أفهامنا. من أجل محبته لنا، وفي طاعة لأبيه، أخذ المسيح على نفسه بفرح الإهانة والحزن، كما يقول الكتاب المقدس: "من أجل السرور الموضوع أمامه احتمل الصليب مستهيناً بالخزي". لهذا السبب نفسه قال الرب في الليلة التي تمت فيها خيانتته: "والخبز الذي أعطي هو جسدي الذي أبذله من أجل خلاص العالم... هذا هو دمي الذي يفك لأجل كثيرين لمغفرة الخطايا". وأيضاً قال من أجلنا: "أنا أقدم ذاتي".

بطريقة مماثلة، عندما يصير القديسون كاملين، فإنهم جميعاً يحققون هذا الكمال، ويسكبهم الوفير من حبهم والرحمة على جميع الناس فإنهم يشابهون الله. يطلب القديسون لأنفسهم هذه العلامة التي للتشبه الكامل بالله: أن يكونوا كاملين في محبة القريب. والآباء الرهبان فعلوا نفس الشيء عندما جاهدوا ليحملوا دائماً في أنفسهم هذا الكمال والتشبه (المملوء حياة) بالرب يسوع المسيح.^٣

"صلاة المتواضع تنفذ الغيوم ولا تستقر حتى تصل ولا تنصرف حتى يفتقد العلي ويحكم بعدل ويجري القضاء"^٤ لأنه بالتأكيد "ذبايح الله هي روح منكسرة. القلب المنكسر والمنسحق يا الله لا تحتقره".

في النهاية دعونا نتبع البر، والإيمان، والمحبة، والسلام، والتواضع مع أولئك الذين يدعون الرب من قلب نقي، حتى نصل إلى فرح البركة الأبدية والسماوية.

^٣ القديس إسحاق السرياني، العظات النسكية (دير التجلي المقدس)، عظة ٧١، ص ٤٩٢، ٤٩٣.

^٤ سي ٢١:٣٥